

ظهور التشيع وانتشاره في نيجيريا الكيفية والوسائل والأخطار

بقلم

الدكتور / عمر محمد لبطو

أستاذ مساعد

جامعة ولاية كادونا

بحث قدم لمؤتمر حراسة السنة الأول الذي أقامته جماعة ازالة البدعة واقامة السنة -
كشنة، مع مركز فنية للدعوة والتربية والتعليم بالتعاون مع دار الآل والصحب بالرياض،
المملكة العربية السعودية.

٩-١٠ ربيع الأول ١٤٣٢ الموافق ١٢-١٣ فبراير ٢٠١١

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله

ظهور التشيع وانتشاره في نيجيريا: الكيفية والوسائل والأخطار

بقلم/ عمر محمد لبطو

ظهر التشيع أول ما ظهر في نيجيريا بين صفوف تلاميذ المدارس وطلاب الجامعات. وهؤلاء كانوا في الغالب شبابا منتظمين في سلك الدراسات في فنون شتى من طب وقانون واقتصاد وعلوم وآداب واجتماع وغيرها. ولكن قليلا جدا منهم من يدرس الاسلام نفسه. ولذلك كانوا قليلي المعرفة بالاسلام وتاريخه وعقائده وسائر علوم الشريعة المختلفة وان كانوا من المتدينين المحافظين على الصلوات المنخرطين في عمل الدعوة وسائر الأنشطة الدينية التي عادة ما يقوم بها الطلبة والتلاميذ في رحاب الجامعات والمدارس على اختلاف مراحلها.

وهذا بطبيعة الحال جعل مثل هؤلاء الطلبة لقمة سائغة أمام الدعوات المختلفة والتيارات العقدية والفكرية المنتشرة في البيئة الدراسية وخصوصا الجامعية. ومن هذه التيارات التيار الشيعي الوافد من ايران على اثر ثورتها العارمة التي أطاحت بحكم الشاه محمد رضا البهلوي. وكان من أهداف الثورة الايرانية نشر المذهب الشيعي، فكانوا يرسلون المنشورات والكتب بالمجان و يرفعون الشعارات البراقة من تأسيس الجمهورية الاسلامية وتحرير المسجد الأقصى من أيدي اليهود ومقارعة أعداء الله ورفع الظلم عن

الشعوب المستضعفة الى غير ذلك من الشعارات البراقة التي اختطفت كثيرا من شباب المسلمين قليلي الخبرة والتعليم وألقت بهم في غياهب التشيع والرفض. وكان من بين هؤلاء المختطفين شاب يدعى ابراهيم بن يعقوب الزكزي.

الزكزي وانتشار التشيع في نيجيريا

برز اسم الزكزي في أوائل الثمانينيات من القرن الماضي بعد ما تخرج من جامعة أحمد بللو بمدينة زكرك ورفض أن يشارك في الخدمة الوطنية الاجبارية التي يؤديها خريجو الجامعات زاعما أن هذه الخدمة انما هي في الحقيقة عبادة لصنم جديد اسمه "الوطن". وعلى الرغم من سوء الفهم وضيق الأفق الذي يدل عليه موقف الزكزي هذا الا أن الشاب الغيور اكتسب شعبية واسعة بسبب هذا الموقف ولاسيما في أوساط الشباب من طلاب الجامعات وتلاميذ المدارس الذين تمثليء قلوبهم بالحماسة الدينية وان خلت أذهانهم تماما من معرفة أبسط مبادئ الدين الاسلامي. وأصبح ابراهيم الزكزي الذي درس الاقتصاد ولا يعرف من الاسلام شيئا، أصبح بين عشية وضحاها يعد من قيادات الشباب الذين لهم ميل الى التدين والنشاط الديني.

وكانت ايران في هذه الأثناء في حربها الدامية مع العراق. وكانت تدير حربا اعلامية واسعة تستميل بها قلوب المسلمين وتحاول كسب الرأي العام الاسلامي الى جانبها. وكانت تستضيف عددا من العلماء والقادة وزعامات الطلاب والشباب من مختلف أنحاء العالم الاسلامي للمشاركة في مهرجان الثورة السنوي الذي يقام لذكرى انتصار الثورة الايرانية. وكان المهرجان يشمل حفلات ومؤتمرات علمية ومسيرات شعبية وتوزع فيه الكتب والمجلات بالمجان. وكان الهدف من كل هذا كسب الرأي العام الاسلامي ونشر المذهب الشيعي.

ويبدو أن الإيرانيين قد أحسنوا اختيار من يستضيفونه من نيجيريا حيث تجنبوا العلماء وأصحاب الثقافة الدينية واختاروا من الشباب المتحمس من قَلت بضاعته في العلوم الشرعية وقَلت خبرته في الشؤون الدنيوية والمعيشية مثل ابراهيم بن يعقوب الزكركي.

وجد الإيرانيون في الزكركي التلميذ المثالي القابل للتعليم حيث وجدوا ذهنه خاليا من أبسط مبادئ الاسلام فأفرغوا فيه تعاليم التشيع وعقائد الرفض وبنوا شخصيته بطريق التدريج على مرّ السنين. بينما وجد الزكركي هو الآخر أتباعا متحمسين يحبون الاسلام بحرارة وحماس ويجهلون جهلا مطبقا. فاستلهاهم بشعارات الثورة الايرانية البراقة واستخف عقولهم بخطبه النارية المملوءة بالشتائم والتهديدات ضد اليهود الصهاينة والأمريكيين الامبرياليين والطغاة المحليين. وكبر الزكركي في أعين هؤلاء الشباب السدّج اذ اعتبروه عالما ربانيا مجاهدا واماما معصوما يجب على جميع المسلمين اتباعه والانقياد لأوامره ونواهيه، ومن لم يفعل فهو خارج عن الاسلام وان مات على ذلك مات ميتة جاهلية لأنه مات على غير بيعة وعلى غير الجماعة!

وهنا شعر قلة من العلماء والدعاة بخطورة الموقف وتفاقم الخطر وخاصة بعد ما بدأ أتباع الزكركي يخرجون في مظاهرات حاشدة خصوصا في المناسبات الشيعية مثل يوم عاشوراء والجمعة الأخيرة من رمضان التي جعلها قائد الثورة الايرانية آية الله روح الله الخميني يوما لتحرير المسجد الأقصى والتضامن مع الفلسطينيين المضطهدين من قبل اليهود. وكثيرا ما وقعت في مثل هذه التظاهرات اشتباكات مع رجال الشرطة فتج من ذلك اصابات وخسائر في الأرواح والممتلكات. عندها هبّ بعض العلماء يندرون بخطورة انتشار التشيع في نيجيريا وينصحون الشباب بعدم الانخراط في حركة الزكركي وأن هذه الحركة قد تجرهم الى اعتناق عقائد الرافضة المناقضة للاسلام. ولكن الرجل

فيما يبدو قد بدأ يتقن فنّ "التقية" الذي هو أحد ركائز عقيدة الرافضة. فكان دائما يطمئن أتباعه ويؤكد لهم أنه ما يربطه مع حكام ايران وعلمائهم الا الثورة والجهاد والنضال ضد قوى الاستكبار العالمي والطواغيت المحليين.

وهكذا ظل ابراهيم الزكزي يستغل سكوت أكثر العلماء، يكسب الأتباع وينشر تعاليم الشيعة وعقيدة الرفض طوال الثمانينيات وصدرا من التسعينيات. وظل الأمر كذلك الى أن حدث حادث غير مجرى الحركة وتاريخها الى الأبد. ذلك أن مجلة من المجلات التي تطبع في ايران وترسل بالمجان الى القراء في نيجيريا وغيرها من البلدان نشرت مقالا نيل فيه من الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه نيلا عظيما واتهم بالكذب ووضع الحديث للخلفاء والسلاطين حرصا على الدنيا. فلم يستطع كثير من أتباع الزكزي أن يتحمل هذا نظرا لما اشتهر به مسلمو نيجيريا من حب النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الذي اكتسبوه من عقيدتهم السنيّة العريقة. فهبّ هؤلاء وطالبوا الزكزي بأن يدين هذه المقالة علنا وأن يعلن براءته من مذهب الرافضة. ولكن الرجل رفض فكان هذا بمثابة تحقيق للاتهامات الموجهة اليه بأنه يعتقد الرفض ويمارس التقيّة.

ونج من هذا الحادث أن انشقت طائفة من أتباع الزكزي وكبار تلاميذه ومريديه وأعلنوا البراءة منه ومن مذهبه الشيعي، وذلك بعد مشاجرات واضطرابات داخل الجماعة ظلت سنين طوالا. وأخيرا وفي سنة ١٩٩٥ تمّ انفصال هذه الطائفة واستقلالها اذ أسست تنظيما باسم جماعة التجديد الاسلامي بزعامة أحد تلاميذ الزكزي المقربين لديه وهو أبو بكر المجاهد. وبهذا خرجت جماعة الزكزي من طور التقية الى دور الاعلان بهويتها الحقيقية والجهر بعقائد الرافضة من بغض أصحاب رسول الله وسبهم وتكفيرهم واعتقاد تحريف القرآن والقول بالأئمة الاثني عشر المعصومين وغير ذلك من مقالات الرافضة المعروفة.

أسباب انتشار التشيع في نيجيريا

ان جمهورية نيجيريا الاتحادية بلد سني محض لا يكاد يوجد به شيعة واحد قبل الثورة الايرانية وتصديرها لعقائد الرافضة الى أنحاء مختلفة من العالم الاسلامي. والبلد معروف بحبه الشديد للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته بما فيهم أهل البيت وغيرهم. ومن أبسط وأظهر ما يدل على ذلك الأسماء التي يتسمى بها غالب سكان البلد. فلا يكاد بيت يخلو من اسم أبي بكر أو عمر أو عثمان أو علي أو غيرها من أسماء الصحابة. ولا يندر أن تجد هذه الأسماء الأربعة لاختوة أشقاء أربعة يعيشون تحت سقف واحد. وهذا مما أثار اهتمام المسلمين من غير أبناء البلد حتى كتب في ذلك كثيرون مثل الدكتور عبد الرحمن دوي وهو أكاديمي هندي عمل محاضرا في جامعة أحمد بللو بمدينة زكرك.

فلماذا وجدت الشيعة أرضا خصبة في نيجيريا؟ وكيف استطاعت أن تنتشر هذا الانتشار الواسع في مدة يسيرة؟
ان هناك أسبابا ساعدت علي انتشار طريقة الرفض في نيجيريا وسنجملها فيما يلي:

فشل العلماء في قيادة الأمة

السبب الأول والأهم هو فشل العلماء فشلا ذريعا في قيادة الأمة وارشاد الأفراد والجماعات وتحصينهم ضد الفساد والبدعة وأنواع الضلال والسير بهم في الصراط المستقيم. ولا شك أن هذه أهم وظائف العلماء في كل مجتمع مسلم، فلماذا عجز العلماء عن القيام بهذه الوظائف في نيجيريا؟

ولفهم هذا السبب لا بدّ من تقسيم العلماء في نيجيريا الى ثلاث طوائف. الأولى هي طائفة العلماء التقليديين وهي أكبرها وأعظمها قيمة واحتراما في أعين العامة.

ولكن هذه الطائفة وللأسف قد تأخر بها موكب التقدم العلمي والاجتماعي حيث اقتضت دائرة اختصاصهم في الفقه المالكي لا يتعدونه ولا يتطرقون الي غيره من الفنون الاسلامية كالقرآن وعلومه والتفسير وأصوله والحديث ومصطلحه والتاريخ وفلسفته وغير ذلك من العلوم والفنون. وأصبح نفوذهم ضيقا جدا بسبب انعزالهم عن الجماهير وعن تيار الأحداث والوقائع في المجتمع. وقليل جدا من يتمتع منهم بالنفوذ الواسع والكلمة المسموعة خارج محيطه. وهؤلاء القلائل هم أصحاب الاتصالات بالأمرء ورجال السياسة وليس لهم همّ في الغالب الا بناء عائلاتهم وأسرههم والحفاظ على مراكزهم الاجتماعية. لذلك لم يكن أكثر العلماء من هذه الطائفة مؤهلين لحمل أمانة العلم والقيام بوظيفة العلماء العاملين من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر واحياء للسنة واخماد للبدعة. بل كان كثير منهم يدعو الى البدعة علنا ويدافع عن الطوائف المبتدعة ويحارب كل من يدعو الى ازالة البدعة واقامة السنة. فلم يكن من المستغرب أن تنتشر بدعة التشيع تحت مرأى ومسمع هؤلاء العلماء، بل كثير منهم أسهم بطريق مباشر أو غير مباشر في انتشار عقيدة الرفض بين العامة وخصوصا الشباب منهم.

أما الطائفة الثانية فنسميهم علماء جريا مع العامة وأشباه العامة من أصحاب الدوائر الرسمية ورجال الاعلام وغيرهم. والافعامه هؤلاء جهّال لا يعرفون من الاسلام الا اسمه ولا من القرآن حتى رسمه! (وتالله ليس في ذلك مبالغة، فان كثيرا منهم لا يستطيعون قراءة سورة الاخلاص الا اذا كتبت بالأحرف اللآتينية أو ما يعرف عندهم ب transliteration). الا أنهم والحق يقال يحبون الاسلام بجرارة ومرارة، ونحسب أن كثيرا منهم صادقين في ذلك. وتتكون هذه الطائفة من رجال الأعمال ومن خرّيجي الجامعات والمدارس وحملة الشهادات ممن تتقفوا بالثقافة العصرية وتعلموا علوم العصر،

لكن لم يتطرقوا الى دراسة الاسلام الا قليلا. وهؤلاء هم غالب من دخل في التشيع وكافح لأجل نشره والدفاع عنه.

ومما زاد الأمر خطورة أن رؤساء هذه الطائفة لم يكونوا جهلة فحسب بل كانوا جهالا مركبين لا يدرون ولا يدر ون أنهم لا يدرون! فصار عندهم نوع من الكبر والتعالي على عباد الله وأصبحوا غلاة متنطعين غارقين في بحار الجهل منغلقين على أنفسهم؛ فلم يكونوا يتعلمون من أحد ولا كانوا يستمعون لأحد وانما يكيلون الشتائم والتهديدات لكل من يخالفهم من العلماء والأتباع على حد سواء. وكان قصارى جهد أحدهم في الطلب أن يقف على بعض الكتيبات والمذكرات المترجمة الى اللغة الانجليزية وهي اللغة التي يتقنونها ويتباهون بها، وصاحب هذه اللغة في نيجيريا يقول فيسمع له بفضل الأوضاع الاستعمارية القائمة وان كان ما يقوله خاليا تماما عن المضمون.

وخير من يمثل هذه الطائفة هو ابراهيم الزكركي، فهو مثال للغلو والاستعلاء واحتقار الغير وقد التقيت به غير مرة. أما علمه فصفر؛ فانه يحمل شهادة "البكلورس" في الاقتصاد ولم يعرف له طلب للعلوم الاسلامية والعربية لا في مدرسة تقليدية ولا عصرية ولا هو كتب شيئا يعرف به علمه. وكل ما يعرف له خطبه الثأرية ومحاضراته الطويلة المملة. وقد يخطب أو يلقي محاضرة لمدة ساعتين أو أكثر ولا يستشهد فيها بأية واحدة من الكتاب ولا حديث واحد من السنة. وكل ما هنالك تحليلات سياسية وتعليقات صحفية والباقي تهديدات وشتائم ضد الاستكبار العالمي والصهيونية والامبريالية والمخالفين له من المسلمين السنة وغيرهم ممن يجمعهم الزكركي جميعا تحت عنوان "الطاغوت".

وقد قمنا (أنا وبعض الاخوة في مدينة سكتو) بجمع خطبه ومحاضراته المسجلة على الأشرطة المسموعة فوجدنا العجب العجاب وذلك سنة ١٩٩٨. وجدنا أن

الرجل-وهو الامام المعصوم واجب الطاعة- لا يكاد يستشهد بآية في خطبه ومحاضراته الا أخطأ فيها خطأ فاحشاً، ولا اقتبس عبارة الا لحن فيها. ومن طريف ما وقفنا عليه في ذلك أنه أراد في بعض محاضراته أن يقتبس نصاً يقرؤه من كتاب بيده فأعياه ذلك، فدندن دندنة مخزية ثم قال: "ان الكتاب غير مشكول." جمعنا الخطب والمحاضرات وحللناها تحليلاً علمياً في شريطين مسموعين بينا فيهما جهل الرجل وأميته وعاميته وأنه لا يبلغ مرتبة تلاميذ الكتاب فضلاً عن العالم فضلاً عن الامام واجب الاتباع. وكنا فعلنا ذلك نصحاً لأتباعه ومريديه ولكن هيهات للغلو أن يستمع وللتنطع أن يلتفت، فلم تزدهم نصيحتنا الا تماديا في الغي واتباعاً للهوى حتى قال أحدهم على ملاً من الناس: "نحن لو دعانا الامام الى الجحيم لم نتردد في اتباعه."

هذا حال الطائفة الثانية وهي كما ترى أصل كل بلية. هم جهال ولكن الأوضاع الاستعمارية السائدة جعلت منهم علماء أصحاب النفوذ العريض والكلمة المسموعة بفضل اتصالحهم بالمؤسسات الرسمية وحسن استعمالهم لوسائل الاعلام. وبذلك استطاعوا أن ينشروا التشيع بين جمهور الناس على حين غفلة من العلماء.

أما الطائفة الثالثة فهم الذين جمعوا بين ثقافة الدين وثقافة العصر، بين العلوم الشرعية والعلوم العصرية المختلفة، ولهم فقه عميق بالواقع الذي نعيش فيه والممام قوي بالأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والحضارية وكذلك النظام الدولي القائم. وهؤلاء معظمهم من خريجي المدارس والكليات والجامعات في شتى الفنون العربية والاسلامية. وبعضهم تخرج من الجامعات الاسلامية في البلاد العربية والاسلامية مثل السودان ومصر والمملكة العربية السعودية وباكستان وغيرها. وأكثرهم بفضل الله تعالى من القائمين بالدعوة الى السنة ومحاربة البدعة والرجوع بالامة الى منهاج السلف الصالح في فهم القرآن والسنة والتعامل معهما.

فرجال هذه الطائفة هم الذين تصدوا لطوفان الرفض في نيجيريا ووقفوا في وجهه وكافحوا لأجل وقف انتشار التشيع. واستعملوا في ذلك كل الوسائل والأدوات المتاحة في هذا العصر. فمنهم من استعمل طريقة الوعظ والدروس العامة في التلفاز وعلى المذياع مثل العالم الرباني المجاهد الشيخ أبو بكر محمود جومي الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الاسلام لعام ١٤٠٧ / ١٩٨٧ رحمه الله تعالى. ومنهم من استغل المنابر واتخذ من الخطب وسائل كالعالم النحرير قانع الرفض وهاتك أسرار الشيعة الشيخ أبو بكر جبريل امام جامع فرفرو بمدينة سكتو. ومنهم من سخر القلم واتخذ من الكلمة المكتوبة مطية توصله الى الهدف مثل الدكتور أمين الدين أبوبكر رئيس جماعة الدعوة بمدينة كنو، وغيرهم كثير. وقد كرس رجال هذه الطائفة حياتهم لمحاربة التشيع واستئصال شأفته ولا تزال جهودهم تتواصل وان كانت تفتقد النظام والمتمسسية.

كثرة الجهل

وهناك أسباب أخرى ساعدت على انتشار التشيع في نيجيريا منها كثرة الجهل وانتشاره وقلة العلم وانزواءه؛ فان مما ابتلي المسلمون به في كثير من الأقطار صرفهم عن التفقه في الدين وانصرافهم الى العلوم المادية التي لا تطلب لوجه الله ولا للدار الآخرة وانما لنيل حطام الدنيا. فأصبح الناس لا همّ لهم بالدين الا قليلا. ترى أحدهم ينفق الأموال الطائلة على نفسه وذويه لطلب هذه العلوم وتحصيلها بينما لا يلقي بالا بالعلم الشرعي حتى عندما يعطى بالمجان. وصار سواد الناس الأعظم جهالا، وهذا فتح المجال أمام الدجالين وعلماء السوء الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله، فنشروا أنواعا من البدع والضلال. ومن هؤلاء الدجالين ابراهيم بن يعقوب الزكركي الذي تولى كبر نشر التشيع في البلاد وساعده على ذلك سكوت أكثر العلماء وخصوصا من مشايخ الطرق الصوفية وغيرهم.

أثر الصوفية

لايستطيع أحد انكار دور المتصوفة في انتشار التشيع في نيجيريا ولو من طريق سالبة وأعني بها السكوت عن فضائحهم وفضائعهم مثل شتم الصحابة وتكفيرهم وممارسة المتعة وكذلك أعمال الشغب والعنف التي عرفت بها الفرقة منذ نشأتها الأولى. فلم يعرف عن أحد من مشايخ الطرق الصوفية أنه أنكر عليهم رغم كلامهم ومشاجراتهم مع مخالفينهم من الفرق والطوائف الأخرى. وعلى العكس من ذلك فقد كان بينهم تفاهم وتعاون وتواصل حتى كانوا يخرجون في تظاهرات ومسيرات دينية مشتركة ترفع فيها صور شيوخ الطرق الصوفية الى جانب صور رموز الشيعة ورؤسائهم.

ولا عجب في ذلك؛ فالتصوف والتشيع غصنان لشجرة واحدة وهي شجرة البدعة الملعونة في القرآن. يقول العلامة ابن خلدون رحمه الله عن أصل التصوف والتشيع وتداخلهما: "ثم حدث أيضا عند المتأخرين من الصوفية الكلام في الكشف وفيما وراء الحس. وظهر من كثير منهم القول على الاطلاق بالحلل والوحدة، فشاركوا فيها الامامية والرافضة لقولهم بألوهية الأئمة وحلول الاله فيهم. وظهر فيهم أيضا القول بالقطب والأبدال، وكأنه يحاكي مذهب الرافضة في الامام والنقباء وأشربوا أقوال الشيعة." (مقدمة ابن خلدون، ص ٢٥٤).

ويقول في موضع آخر: "ثم ان هؤلاء المتأخرين من الصوفية المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك... وكان سلفهم مخالطين للاسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضا بالحلل والهيبة الأئمة مذهباً لم يعرف لأولهم فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر." (المقدمة، ص ٣٨٦).

ومع كل هذا الاتحاد والاشترك في الأصول كما وصفه العلامة ابن خلدون، ومع التفاهم والتعاون الذي بينهم كما هو مشاهد في كثير من مدن نيجيريا وقراها مثل مدينة

كنو وغيرها، فان ثمة فروقا أساسية بين الطائفتين لأن الصوفية رغم انحرافاتهم الخطيرة في العقيدة والفكر والسلوك الا أنهم مع ذلك كله يعدون من فرق أهل السنة بالمعنى العام اذ أنهم يقرون بخلافة الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم الى جانب اعترافهم بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه كرابع الخلفاء الراشدين. والرافضة كما هو معلوم لا يقرون بامامة الثلاثة بل ولا باسلامهم ويرون التبرأ منهم أصلا من أصول الدين لا يصح ايمان المرء الا به.

وعلى هذا الأساس فان علماء الشيعة يكفرون الصوفية كلهم بدون استثناء، ويعتبرونهم من النواصب أعداء أهل البيت، لأنهم يتولون الخلفاء الثلاثة ولا يتبرءون منهم، وهذا عندهم معناه بغض أهل البيت لأن كل من يجب أبابكر وعمر فهو عندهم مبغض لعلي وأهل بيته. يقول شيخ الرافضة ومحدثهم وفقههم الحرّ العاملي: "اعلم أن هذا الاسم وهو اسم التصوف كان مستعملا في فرقة من الحكماء الزايغين عن الصواب، ثم بعدها في جماعة من الزنادقة وأهل الخلاف من أعداء آل محمد كالحسن البصري وسفيان الثوري ونحوهما، ثم جاء فيمن جاء بعدهم وسلك سبيلهم كالغزالي رأس الناصبين لأهل البيت... ثم سرى الأمر الى تعلق بعضهم بجميع طريقتهم وصار من تبع بعض مسالكهم سندا لهم... وصار اعتقادهم في النواصب والزنادقة أنهم على الحق، فتركوا أمور الشريعة. روى شيخنا الجليل الشيخ بهاء الدين محمد العاملي في كتاب الكشكول، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تقوم الساعة حتى يخرج قوم من أمتي اسمهم الصوفية ليسوا مني وانهم يهود أمتي وهم أضل من الكفار وهم أهل النار.)" (رسالة الاثني عشرية في الرد على الصوفية للحر العاملي، ص ١٣-١٦).

وعقد شيخ الرافضة المعروف بغلوّه وتشدده وهو المدعوّ نعمة الله الجزائري، عقد في كتابه الأنوار النعمانية (ج ٢ ص ٣٠٧) بابا بعنوان "ظلمة في أحوال الصوفية

والنواصب" وصف فيه الصوفية بأوصاف يتورع ذو المروءة عن نقلها كلها ولا يتسع المقام لنقل بعضها.

ومع ما رأيت من تكفير شيوخ الرافضة للصوفية فان مشايخ الطرق الصوفية في نيجريا قد ساهموا ولا زالوا يساهمون في انتشار مذهبهم ربما عن جهل وربما عن بغض وكرهية للسنة ودعاة السنة فان الكراهة تعمي وتصم. الا أن الأوضاع بدأت تتغير اذ لوحظ مؤخرا وجود فجوة وجفاء بين الفريقين أدى الى اصطدام بينهما في بعض الأحيان. فمثلا حدث اشتباك عنيف بين أتباع طريقة من الطرق الصوفية وبين بعض الشيعة في ضاحية من ضواحي مدينة كادونا تسمى "رغاسا" قبل شهرين تقريبا جرح فيها العديد من الجانبين. وسبب الشجار كما نقلت وسائل الاعلام هو ممارسة طقوس يوم عاشوراء اذ دعا علماء الطريقة الصوفية الى صوم ذلك اليوم بينما دعا رؤساء الشيعة الى الحداد لذكرى مقتل الحسين رضي الله عنه.

أثر الاستعمار

ومن أسباب انتشار التشيع في نيجريا فصل الدين عن الدولة وهو من الكفريات التي فرضها الاستعمار على المسلمين فرضا، وبذلك أمسى الدين بمعزل عن الحياة واضطر الى زاوية ضيقة من الفضاء الاجتماعي، وأصبح يتيما بلا راع يراعاه: لا دولة قائمة ولا مؤسسة عريقة ولا منظمة قوية. وهذا أتاح الفرصة للدجالين والمتعلمين أن ينشرو البدع ويتكلمو في مسائل العلم بغير علم دون رقيب ولا حسيب. وصار الدين حمى مستباحا يلججه كل من هب ودب ويتكلم فيه ويفتي من شاء دون أي ضابط. أما الحكام فلا يهتمون بالدين الا ريثما يخدم مصالحهم السياسية، وكثير منهم يفضل التعامل مع المتعلمين والدجالين الذين يساعدونهم على تضليل العامة والجام أفواههم

وشراء ولائهم، فأصبح الدجاجلة والحكام العلمانيون يستمتع بعضهم ببعض وينصر بعضهم بعضا ويتعاونون على الاثم والعدوان ومعصية الرسول. وهكذا ضاع الدين بين جهل المتعلمين وهوى الدجالين ودنيا العلمانيين وراجت سوق البدعة وانتشرت الفرق الضالة ومنها الرافضة البغيضة.

تلك أهم أسباب انتشار التشيع في نيجيريا: عجز العلماء وقعودهم عن واجبهم وفشو الجهل ومكر الاستعمار الذى جعل من المجتمعات الاسلامية نسخة لمجتمعه اللاديني حيث لا يحدى الدين بأي اهتمام أو رعاية فيكون لعبة في أيدي اللأعبين.

مراحل انتشار التشيع في نيجيريا

لقد مرّ التشيع في انتشاره بثلاث مراحل. الأولى مرحلة التقية والنفاق والخديعة، وهي المرحلة التي كان زعماء الرافضة ينادون فيها باسم تجديد الدين والاصلاح الاجتماعي والنضال ضد الظلم والجهل والامية. وفي هذه المرحلة انتشر التشيع انتشارا واسعا في مدة يسيرة نسبيا. وقد ساعد على هذا الانتشار الجهل بالشرع وقلة الثقافة الدينية والتعطش للاصلاح والتغيير من جانب الشباب وعدم الاطلاع على نوايا تجار الرفض الخبيثة.

أما المرحلة الثانية فهي التي خرج منها زعيم الرافضة الزكزي من طور التقية والنفاق الى دور الجهر بعقيدته الشيعية ودعوة أتباعه الى اعتناقها وترديد مقالات الرافضة المعروفة مثل القول بالأئمة المعصومين وتحريف القرآن وتكفير الصحابة وجواز المتعة وغيرها. وقد أحدث هذا هزة عنيفة في أوساط الحركة مما سبب انقسامها الى قسمين: قسم بزعامة الزكزي وهم الرافضة الأقحاح الذين لا يتورعون عن سب الصحابة ولعنهم وتكفيرهم وممارسة الدعارة باسم المتعة وغير ذلك من عقائد الرافضة وأعمالهم. والقسم الثاني بزعامة تلميذ الزكزي أبي بكر المجاهد وهم الذين أعلنوا براءتهم

من المذهب الشيعي والتزامهم بالسنة الا أنهم لا تزال آثار التشيع ظاهرة عليهم مثل التكتم والسرية والاستخفاف ببعض البدع والتقرب من مشايخ الطرق الصوفية وكراهة الدعاة الى السنة أحيانا.

ونتج من هذا الانقسام ضعف الحركة الشيعية وخلل في تركيبها الدعائية وبالتالي فتور في انتشارها ونشاط أبنائها وخصوصا في المدن الكبرى وفي معازل الحركة المعروفة مثل الجامعات والكليات والمدارس. ويرجع الفضل في ذلك الى جهود دعاة السنة من مختلف الطوائف مثل جماعة ازالة البدعة واقامة السنة وجماعة السلفيين والقلة القليلة من المنتورين من جماعة التجديد الاسلامي.

ويبدو أن انتشار التشيع قد بدأ يدخل مرحلته الثالثة بعد ما تم طرد الرافضة من المدن الكبرى تقريبا وذلك بعد أحداث مدينة سكتو التي تعد كارثة حقيقية للرافضة في نيجيريا. وهذه المرحلة هي أخطر مراحل انتشار التشيع حيث صرف زعماءهم جل همهم الى القرى والبلدان النائية يعملون فيها لنشر المذهب. ويكمن خطر هذه الخطة الأخيرة في كون هذه المناطق النائية يقل فيها التعليم غالبا وينتشر فيها الفقر والامية مما يسهل للرافضة نشر عقائدهم الخبيثة بين البسطاء من أبناء هذه المناطق. ولا يخفى أن أكثر الدعاة يتمركزون في المدن حيث الكهرباء ومياه الشرب النقية وسائر مرافق الحياة ولا يسكن البوادي منهم الا قليلا. وهذا بدوره فسح المجال واسعا أمام دعاة الرفض الذين يستعملون أساليب الاغراء بالأموال الى جانب التستر بحب أهل البيت والولاء لمشايخ الطرق الصوفية وغير ذلك من وسائل الرافضة المعروفة.

أخطار انتشار التشيع في نيجيريا

هناك أخطار جسيمة تكمن في انتشار التشيع في كل مجتمع مسلم وفي نيجيريا

بالذات، منها:

أولاً: انتشار التشيع خطر على العقيدة لأن اعتناق عقائد الرفض ردة صريحة عن الاسلام. فكل من اعتقد عصمة الأئمة وأنهم يعلمون الغيب ولا يخفى عليهم شيء في الأرض ولا في السماء، وأنهم أفضل من الأنبياء والرسل والملائكة المقربين، وأن الصحابة كلهم ارتدوا بعد النبي صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة أو سبعة منهم، وأن القرآن محرف ومبدل، وأن كربلاء خير من مكة والمدينة، كل من اعتقد هذه العقائد لا شك أنه كافر مرتد عن دين الاسلام.

ثانياً: انتشار التشيع خطر على الحياة الاجتماعية لأنه يفرق كلمة المسلمين ويوقع بينهم العداوة والبغضاء؛ فان الرافضة يربون أتباعهم على بغض المسلمين من لدن الصحابة الى يومنا هذا.

ثالثاً: انتشار التشيع خطر على الأمن والاستقرار لأنه يوقع العداوة والبغضاء كما تقدم ولأن الرافضة يستحلون دماء المسلمين وأموالهم ويربون أتباعهم على التعطش للدماء واثارة الفتن والأحقاد واعانة الكفار على المسلمين وغير ذلك مما هو معروف من تاريخهم المظلم ومشاهد من واقعهم الأليم.

رابعاً: انتشار التشيع خطر على التقدم السياسي والازدهار الاقتصادي للمسلمين، وهذا أيضا معلوم من تاريخهم ومشاهد من واقعهم الملموس. فان الزكزي لما بدأ دعوته في الثمانينيات من القرن الماضي نقر شباب المسلمين من التعليم فهجروا المدارس والجامعات، وتوقف آلاف الشباب عن الدراسة في كافة المراحل والمستويات كما تركوا العمل في الوظائف الحكومية وغيرها بشبهة أن ذلك تورط في نظام "الطاغوت" وبذلك خسر المسلمون كثيرا من الخبرات العلمية والتقنية التي هم في أمس الحاجة اليها في حياتهم الدنيوية والأخروية. واليوم يعيد التاريخ نفسه فنجد زعماء الرافضة ورؤساءهم

يحثون أتباعهم على عدم الاشتراك في عملية التسجيل والتصويت في الانتخابات العامة المقبلة وعدم المشاركة في الحياة السياسية عموماً.

خاتمة: نسال الله حسنها

ظهر التشيع في نيجيريا في أواسط الثمانينات من القرن الماضي الميلادي على اثر الثورة الايرانية التي عملت على نشر المذهب في ربوع العالم الاسلامي. وانتشرت تعاليم الرفض وعقائده على أيدي فئة من الناس تنقصهم الثقافة الدينية وان كانوا في طلائع المجتمع بفضل اتصاهم بالمؤسسات الرسمية وحسن استعمالهم لوسائل الاعلام. فهم يندسون في صفوف هيئات التدريس في الجامعات ومراكز البحوث والمؤسسات المالية والاعلامية وغيرها.

وقد ازداد نشاطهم في الآونة الأخيرة حيث طرقت المجال السياسي بالتقرب الى الحكام بعد أن كانوا يجارونهم، فان زعيمهم الزكزي الذي ظل عشرين عاماً يكيل اللعنات للحكومات المتعاقبة وينعتها بالطاغوت مثل حكومة "شيخو شاغاري" وحكومات "محمد بخاري" و"ابراهيم بابنجيدا" و"ثاني أباتنا" و"عبد السلام أبوبكر" وكلها حكومات يرأسها رجال مسلمون لكن الزكزي تجنب معاملتها وظل ينتقدها وينعتها بأنها حكومات كافرة عميلة لأمريكا واسرائيل حتى اذا قامت حكومة "أوبا سنغو" وهو كافر ومعلوم بعدائه الشديد للإسلام والمسلمين أصبح الزكزي من المقربين لدى الحكومة. ويبدو أن "أوبا سنغو" الذي يتمتع بعلاقات طيبة مع حكام ايران قد أدرك ضرر الشيعة على الاسلام فأحاط الفرقة بمزيد من العناية الرسمية (من وراء الستار طبعا) وأوعز الى حكام الولايات بتمكين أتباعها واحلالهم مراكز النفوذ في الادارات المحلية.

ومما يجدر التنبه له ازدياد نشاط ايران في نيجيريا في الآونة الأخيرة وتدخلاتها السافرة في شئونها الخاصة، ومن الأدلة على ذلك الكميات الهائلة من السلاح الذي ضبط في ميناء "لاجوس" مؤخرا والتي مصدرها ايران. وقد اعترفت الحكومة الايرانية رسميا بتورط بعض موظفي سفارتها في "أبوجا" في تهريب الأسلحة الى نيجيريا. ولا شك أن هذا يشكل مصدر قلق بالغ ويوجب على الجهات المعنية أخذ مواقف صارمة حياله.

ومما يجدر التنبه له أيضا التحول الملحوظ في انتشار التشيع في نيجيريا حيث صرف زعماء الفرقة جلّ همهم مؤخرا الى نشر المذهب في القرى والمناطق النائية لاسيما بعد أحداث "سكتو" وطرد دعاة الرفض من المدن. وهذا لاشك سوف تكون له عواقب كارثية. فان الشيعة اليوم تنتشر في هذه المناطق انتشار النار في الهشيم وتسري فيها سرعان السمّ في الأحشاء ولا يقف أمام انتشارها الا جهود فردية متفرقة تفتقد النظام والمؤسسية. والسبب في ذلك على ما أعتقد هو أن أكثر المسلمين في هذه البلاد لم ينتبهوا الى أن الشيعة، زيادة على كونها فرقة ضالة تناقض عقائد الاسلام، فهي أيضا سبب لزعة الأمن والاستقرار. فيجب على جميع المسلمين أن يدركوا أن انتشار الرفض في نيجيريا مشكلة دينية واجتماعية وأمنية، ولا بدّ من وقفه قبل تفاقم الأمر واستفحاله. ولا بدّ لذلك من جهود منظّمة يشارك فيها المسلمون كلهم على اختلاف طبقاتهم وأشغالهم واختصاصاتهم. والله الموفق لا اله غيره ولا رب سواه.

التوصيات

- يجب على المسلمين وخصوصا العلماء والدعاة منهم أن يوحدوا الصفوف ويضاعفوا الجهود لمكافحة انتشار التشيع في نيجيريا لأن انتشاره فتنة والفتنة أكبر وأشدّ من القتل.

- ينبغي التصدي لانتشار الرفض عن طريق عمل مؤسسي موحد يوفر الامكانيات ويضمن النجاح والتأثير؛ فان القوم لهم امكانيات مادية ونظامية هائلة ولا يمكن مقارعتهم الا بمثلها.
- ينبغي العناية بوسائل الاعلام الحديثة وبهذا الصدد نقترح انشاء صحيفة تصدر باللغة الانجليزية وتظهر بمظهر العلمانية لمخاطبة "النخبة المثقفة" من الذين يحبون الاسلام ولكن ليست عندهم ثقافة دينية كافية فينبهون بزخارف "الثورة" ولا يهتدون الى الاسلام الصحيح والعقيدة الحقّة.
- يجب توجيه عناية الدعاة الى القرى والبوادي والمناطق النائية وخلق جو ملائم للتواصل مع سكانها بهدف انقاذهم من خطر التشيع المهدق بهم.
- لا بدّ من مزج أعمال الدعوة بالعمل الخيري والاغاثي نظرا للفقر المنتشر بين أهالينا ولاسيما سكان البوادي منهم.

أربعون بيتا في رثاء الشيخ أبي بكر محمود جومي، قاضي قضاة
نيجيريا

توفي رحمه الله يوم الجمعة 1992/9/11

د/ عمر محمد لبطو

أعينيّ جودا بالغزير من الــــدم وما لكما لا تبكيان أخوا العلمــــم
أخو العلم محمود ابن بكر معلــــم مرب حكيم موقظ كل
نأــــم

له يده الطولى على كل	صبور حلیم عالم متفتّن
	عالم
عفا أثره الوضّاح في العرب	مجدّد دين الله في الأرض بعد ما
	والعجم
به كل من نال السلامة	أنار سبيل الحق بالحق فاهتدى
	ملهم
وصمّا من الأذان سكت من	به فتح الرحمن غلفا من القلوب
	الصمم
يجيء عليه بالعمى كثرة	وأبصر قوم بعد ما كاد بصرهم
	الإثم
وولت جيوش الجهل والكبر	فأصبح نهج الحق أبيض ناصعا
	والضيم
وهموا بأمر لم ينالوه	تذكرت يوما قام فيه عداه
	مؤلم
فألقي عليه الله ستر	أحاطوا به كالسور وهو بوسطهم
	المسلّم
أصيبوا بشلل للتقهقر	فلم يلق سوءا منهم غير أنهم
	ملمزم
بناء قوي الأسس غير	أبى الله إلا أن يقيم لدينه
	مهدم

وأموالهم حقا وفازوا	أقام رجالا جاهدوا بنفوسهم بمغنم
طغى زبدها زورا على الحق	أزال بفضل الله آثار بدعة والعلم
وراحوا حيارى ظالم إثر	فأضحى نووها حائرين بجهلهم ظالم
وبالأثر الموحى إلى خير	وناضل بالقرآن والقلم البريء أدمي
فقد جبل شامخ ذي	ألا يا عباد الله أبكوا معي على مكرم
أمير بلا تاج ونار بلا	فقير غني خائف ومخوف ضرم
زحه عمّا نوى من	غناه تقاه، فقره لم يكده يزح عزائم
حوى قلب أسد لا يقارب	تراه نحيل الجسم لكن صدره بالضيم
وأنزلها من فوق عليائها	له همة لو رام زهره لناله "جومي"
لها حرها الفتاك بالقلب لا	يصب على الأعداء من نار حبة الجسم

إِطَاعَةٌ أَمْرٌ مِنْهُ بِالْيَدِ أَوْ	أَمِيرٌ يَكَادُ النَّاسَ يَقْتَتِلُونَ فِيهِ فَم
وَيَمْضِي بِخَيْرٍ سَالِمًا غَيْرِ	تَرَاوَدَهُ الدُّنْيَا وَيُدْفَعُ كَيْدَهَا أَثَم
رَجَالٌ فَكَانُوا وَهُوَ كَالْمَسْكَ	تَرَفَعُ عَنِ الدُّنْيَا تَدْنِسُ بِأَثْمِهَا وَالدَّم
بِنَابِغَةٍ خَيْرٌ وَأَفْضَلُ مِنْ	أَيُّ لِعِبَادِ اللَّهِ هَلْ جَادَ عَصْرُنَا "جُومِي"؟
وَشَرُّ الْمَنَائِيَا فَوْقَ طَوْقِ	خَلِيلِيٍّ مِنْ لِيٍّ بِالْمَنِيَةِ شَرُّهَا ابْنِ آدَمَ
سَرَى حَبَهُ مَسْرَاهُ فِي اللَّحْمِ	وَمَنْ ذَا يَعْزِينِي عَنِ الشَّيْخِ بَعْدَ مَا وَالدَّم
عَلَى مَثْوَى شَيْخٍ كَبِيرٍ	فِيهَا أَسْفَى - وَالْعَيْنُ تَبْيِضُ مِنْ أَسَى - مَعَمَّم
وَرَقٌّ بَارِشَادٍ الْمَوَاعِظِ مِنْ	وَيَا حَرَّ قَلْبٍ اسْتِنَارَ بِفَضْلِهِ "جُومِي"
وَقَامَ عَلَى أَنْقَاضِهَا	لَقَدْ غَرَبَتْ شَمْسُ الْمَعَارِفِ بَعْدَهُ كَالْمَاتَم
إِلَيْنَا أَيَادٍ كَالسَّحَابِ	سَقَى اللَّهُ هَذَا التُّرْبَ كَمْ سَاقَ سَاكِنَهُ الرَّوَاكِم

فيا أيهذا الشيخ فارقت دارنا الـدنية لكن ما تزال مع
القـوم

نظل مع المذيع نسمع صوتكـا
"الفلم"
وننظر في "التلفاز" طيفك في

فحلقة درس الشيخ ما زال عهدها
تسمي
جديدا وما زالت رسالتها

تفنن في التفسير والفقـه والحديث
المكـارم
وفاق على أقرانه في

أب لليتامى ملجأ للأرامـل
مزاحـم
مرب لجيل الناس غير

له الفضل في إنشاء جيل مثقف
الحرائم
غيور على الإسلام حامي

أقام لمجد الدين صرحا مؤزرا
العـدم
وأحيا تراثا كاد يمضي إلى

سقاه إله العرش كأس نعيمه
التنعم
وأسكنه الفردوس دار

